النعمة والحق

7-8
Jul Aug
2012

الافتتاحية						بقلم: لاري اوندر جاك

نحتاج أن نكون منارة

«أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ١٤-١٦).

حينما زرت متحف المنارة الرئيسية أخبرني الدليل بموجز هام عنها حيث أنه في عام ١٩٨٠ قرر المسئول عن المنارات جميعها أن يكون تشغيلها ميكانيكياً سيكون اقتصادياً بدلاً من أجور الحراس للمعيشة وصيانتها. وإن كان ذلك حقق وفراً مادياً إلا أنه سبب كوارث كثيرة.

وإذا فشلت المنارة في عملها وعم الظلام فليس هناك من يستطيع أن يقوم بحل المشكلة وإصلاح الموقف ولأن المنارة شاغرة فهي مستهدفة لليأس وعرضة للمخربين. وتقرر أخيراً بأن تكلفة الإصلاح أهم بما لا يقاس بتكلفة صيانة أو علاج وقائي. ولهذا اتجه المسئولون إلى سياستهم القديمة وبدأت بأن تعني تلك المنارة لمؤسسات خاصة للعناية بها.

وإنني أثق بأننا نجد في ذلك رسالة لنا. فنحن لا نتوقع أن نخدم كمنارة ساطعة في عالم مظلم ما لم نقم بصيانة أنفسنا. ونستطيع ذلك بأن الداخل يتجدد باستمرار (٢كو٤: ١٦) والنور داخلنا يتجه نحو أربع اتجاهات: خلال شركتنا مع المسيح الذي هو «النور» (يو١: ٤، ٥) خلال الروح القدس الذي هو منبع قوتنا (أع١: ٨)، خلال كلمة الله التي هي مرشدنا (مز١١٩: ١٠٥) وأخيراً خلال رفقتنا مع المؤمنين التي تحفظنا في نقاء وذات تأثير فعال في حياتنا اليومية (يو١٣: ٥-٢٠).

وأرجو – عزيزي القارئ – الرجوع إلى مقدمة هذا المقال. إن البشير متى لا يفترض أن تكون المنارة هي المشغولية القصوى للمؤمن فليس السؤال هل أرغب أن أكون منارة؟ بل بالحري يكون التساؤل أي نوع من المنارات أشغلها؟

موضوع العدد (٢)   بقلم: أيان تيلور

نوره يقهر ظلامنا

إن الظلام معناه غياب النور. وحينما بدأ الله عمله في إعادة ترتيب الخليقة؛ كانت الظلمة على وجه الغمر حيث نقرأ في (تك١: ٢) «وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ» وكان عمله الأول؛ ليعد الأرض لفائدة وبركة الإنسان هو أن يُوجِد النور. «وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ» (تك ١: ٣).

وخلق الله الإنسان في اليوم السادس وحينئذٍ نقرأ «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١: ٣١). وبأسف لم يُطع آدم وحواء وصية الله المحددة «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تك٢: ١٧) وماذا كانت النتيجة؟ سقط ومعه نسله ودخلت الخطية إلى العالم وتسببت في وجود مسافة بين من هو النور والحياة. ونتيجة لهذه الخطية ساد الموت والظلام الروحي. ومنذ ذلك الحين؛ جاء كل إنسان مولوداً بطبيعة ساقطة خاطئة تميزت بظلمة روحية وانفصال عن مصدر النور، الله نفسه.

«كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا» (أف٢: ١). «كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رو٥: ١٢).

وتكلم إشعياء عن شخص سيأتي ليعطي النور للظلام الروحي الناتج عن الخطية «اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إش٩: ٢) تلك النبوة كانت عن المسيا مخلص العالم الذي يأتي بنور الحياة للقلوب التي أظلمتها الخطية. والبشير متى يعزز ذلك بأن يسوع هو الذي يتمم هذه النبوة قال: «الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (مت٤: ١٦).

أما يوحنا فيشير إلى الرب إنه كان الكلمة –وسيلة اتصال الله بعالم ميت– وعن طريق شخصه – له المجد – يتصالح البشر مع الله ويحيا في نوره «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ.. كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا

إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ... وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو١: ٤، ٥، ٩-١٢).

كما ويسجل عنه – له المجد – قال لهم يسوع: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو٨: ١٢). لقد تبعه وآمن بأنه المخلص الموعود به وطريق الخلاص من الخطية والانفصال عن الله. كما وسجل في إنجيله أيضاً «إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ» (يو٨: ٢٤) ثم قال: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يو٨: ٣١).

ومضى الرب في إثبات هذه الحقائق. وإذ كان يغادر منطقة الهيكل رأى إنساناً أعمى يستعطي فسأله تلاميذه: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟». أَجَابَ يَسُوعُ: لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ. يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ» (يو٩: ١-٥) ثم أعطي البصر لذلك الإنسان.

لقد عاش ذلك الأعمى في ظلام منذ ولادته وبينما أنتجت الخطية الأصلية كل مرض فإن عماه نظير كل صور الأمراض والعاهات لم تكن نتيجة مباشرة لخطية بعينها بل بالحري نتيجة للظلمة والموت مما سادا بسبب الخطية الخاطئة للجنس البشري. وفي هذا كتب الرسول بولس «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.. لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو٣: ٢٣، ٦: ٢٣).

حينما أعلن الرب نفسه لبولس وهو في الطريق إلى دمشق قال له: «أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أع٢٦: ١٨).

فالظلمة والخطية صنوان وتحت سلطان الشيطان. والانجيل يمنح النور للضال ليعلن طريق الخلاص والفريسيون الذين لم يكونوا يؤمنون بالرب تساءلوا قائلين: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضًا عُمْيَانٌ؟ قَالَ

لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ.» (يو ٩: ٤١). وكان – له المجد – يتكلم عن النور الروحي والحياة. وفي حالة الرجل الأعمى نجد تصويراً صادقاً لما يحدث حينما يأتي إلى النور بإيمانه وقبوله المسيح كالسيد والمخلص فهو لم يَعُد يسير في ظلام بل أمتلك حياة جديدة «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو٥: ١٧). قد لا يفهم أن كل ذلك تتضمنه هذه الحياة الجديدة ولكنه يستطيع أن يضم صوته مع ذلك الأعمى «أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ» (يو ٩: ٢٥).

وبهذه المناسبة أذكر قصة معبرة عن ذلك حينما كان أحد المؤمنين يستقل سيارة عامة للعمل وإذا بشخص يجلس بجانبه عابساً فبادره بالسؤال ‘‘ماذا بك ولماذا أنت عابس؟ فأجابه أنه يواجه مشكلة ألا وهي كثرة تعاطي الخمر ولا يستطيع أن يقلع عنها. فأجابه لقد كنت نظيرك منذ زمن بعيد ولكن حينما آمنت بالمخلص والفادي حدث تغيير جذري في حياتي والآن أشعر بأنني إنسان جديد. وإنني أدعوك لتأتي معي لحضور خدمة تبشيرية الليلة’’ وهناك قَبلَ الرب كمخلصه الشخصي وأصبح إنساناً جديداً وهو يعمل الآن مبشراً ويقدم شهادته للسامعين كيف تغيرت حياته لأنه وجد نور الحياة الرب يسوع.

إنه – له المجد – يريد أن يعطيك – عزيزي القارئ – نوره ليقضي على الظلام الذي يحيط بك ويعطيك قوته ليساعدك لتتبعه وتخدمه.

موضوع العدد (٢) بقلم: البرت ستوارد

انعكاس نور المسيح

قال الرب يسوع المسيح: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو٨: ١٢).

كان ذلك حينما تكلم مع المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل بعد أن تعامل بحكمة ومهارة مع المشتكين عليها ووجهها الوجهة الصحيحة – إليه شخصياً – حتى لا تخطئ أيضاً (٨: ١١) لقد سلمته حياتها كمخلصها وسيدها وفي هذا الطريق كان عليها أن تحيا في نوره العجيب. وفي الموعظة على الجبل قال الرب: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ١٤–١٦) كلتا الفكرتين صحيحتان. فهو – له المجد – نور العالم ونحن أيضاً نور العالم. وهو يحثنا أن يضئ نورنا: في بيوتنا وفي كل مجالات الحياة. وهذا الإشعاع يقود الغير لمشاهدة أعمالنا الصالحة بل والأكثر من ذلك يقودهم ليمجدوا أبانا الذي في السموات ودعنا – عزيزي القارئ – نحقق غرض الرب فيما وضحه في تلك الموعظة.

نور العالم:

أعلن الرب لتلاميذه بأنهم نور العالم (مت٥: ١٤) وأكثر من ذلك فقد أوضح بأن المؤمنين يجب أن تكون حياتهم في نطاق ذلك الإعلان (مت٥: ١٤–١٦) إن العالم في حقيقته في ظلام وكثيرون فيه يفضلون الظلام لتغطية أعمالهم الشريرة «وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً» (يو٣: ١٩) وكما أن هناك تضاد بين النور والظلمة فيجب أن يكون هناك تضاد بين المؤمنين وغير المؤمنين في الأخلاق والاتجاهات والأعمال. وفي لغة مجازية أكد الرب أن المؤمنين هم نور موضحاً بأنه يقصد بالحقيقة الناحية الروحية في ذلك.

إن كل مؤمن هو نور في ظلام هذا العالم وأصبح ذلك النور خاصية بارزة فيه ولا يمكن إغفالها أو إنكارها ومسئوليته إظهار شخصيته الحقيقية بأن يشع فيه ذلك النور. ويرجع الاختلاف الجذري بين المؤمنين وغير المؤمنين بأن الأول قد لبى وأطاع الإنجيل ويقول بولس في (٢كو٤: ٦) «لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». فالله أشرق بنوره في كل العالم وكانت استجابة المؤمن لذلك النور بقبول المسيح كالمخلص. وقبل هذه الأعداد (ع٣، ٤) قرر بأن الشيطان قد أعمى أذهان الهالكين ولم يؤمنوا بالإنجيل. إن المؤمن هو نور بفضل انتمائه للمسيح.

<u>مدينة على الجبل:</u>

الجملة المحورية الثانية والتي ذكرها الرب في الموعظة على الجبل والقوية ذُكرت في (مت٥: ١٤) «أيمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل؟» نستطيع أن نرى أنوار مدينة على جبل أو الأنوار المتميزة في مدينة كبيرة. وكثيرون يأتون من أماكن بعيدة ليشاهدوا مثل تلك الأنوار الباهرة والتي لا تختفي. وقد استخدم الرب بعض التشبيهات لتصوير إشعاع نور المؤمنين في حياتهم وإن خَفَتَ الضوء فإنه في نفس الوقت لا يختفي ولا ننسى – عزيزي القارئ – أن سطوع نورنا يمجد الله وكما قال الرب فإن ذلك النور هو أعمالنا الصالحة.

قرر الرب بأنه ليس أحد يضع سراجاً تحت المكيال فليس في ذلك أية فائدة تُرجى؛ إذ أن الهدف من السراج هو إضاءة ما يحيط به. كما وأنه – له المجد – يؤكد على ضرورته لإنارة ما يحيط به بل وأشار بأن يوضع على منارة لأجل هذا السبب وهكذا يجب أن يضيء نور المؤمن في البيت وإن كان أفراد العائلة مؤمنين فنورهم يسطع هنا وهناك في تجانس وتصبح الأسرة شهادة حية للمسيح (خر١٠: ٢٣) ويصبح المؤمنون كأنوار شهادة لأقربائهم غير المؤمنين؛ وإن كان ذلك شاقاً فإن ما يلزم من «رحمة ونعمة عوناً في حينه» (عب٤: ١٦) كما وأنه – له المجد – أن يسطع نورنا في مجتمعاتنا.

<u>أنوارنا هي أعمال صالحة:</u>

في (أف٢: ١٠) نقرأ قول بولس «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» إن التعبير «قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا» تُعني بأن الله لديه قائمة من الأعمال الصالحة أعدها لكل مؤمن ليحياها. وإن نسلك فيها فإن نوره يشع فينا. وعلينا ألا نهدر أية فرصة لنعمل عملاً صالحاً من قائمته الإلهية. ولا يطلق على تلك أعمال عظيمة كبناء ملجأ أو نكون ضمن فريق إرسالية أو نتبرع بمبالغ باهظة بل «لأَعْمَال صَالِحَةٍ» مثل كوب ماء بارد لنفس عطشانة في اسم الرب (مت١٠: ٤٢، مر٩: ٤١) فيجب علينا أن ننتهز كل فرصة لنعمل عملاً صالحاً سواء كان صغيراً أو كبيراً. وإذا أطعنا الرب فإننا نمجد الله ومن ضمن تلك الأعمال أن تقود شخصاً إلى المسيح.

إن الرب يسوع لنا – كمؤمنين – قدوتنا ومثالنا الكامل؛ ذاك الذي كتب عنه لوقا الطبيب في (أع١٠: ٣٨) «يَسُوعُ .....الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا» فقد أعطى البصر للعميان، فتح أذن الأصم. شفى المريض، أقام الميت، أطعم الجموع أشفق على الجموع، وإن كنا لا نستطيع أن نعمل تماماً كما فعل، إلا أننا نستطيع أن نتمم ما دعانا الله إليه. هل أنت مُكرس لتعمل الأعمال الصالحة التي أعدها لك الله لتسلك فيها؟ وهل تنفذها بنفس راضية ومسرورة؟

إن الآب يتمجد حينما يُعجب العالم بالأعمال الصالحة التي يعملها المؤمنون. وتتجه قلوب غير المؤمنين إلى معرفة الله نتيجة لتلك الأعمال! وهذا هو غرض الله من خلال حياتنا. لقد أعلن الرب الخطوات والطريق بوضوح حينما قال يوحنا في (يو١: ٩) «كَانَ(يسوع) النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ» إن الله يريد أن ننير في العالم بأعمالنا الصالحة ولمعاننا يمجّد أبانا ونقود غير المؤمنين نحو المسيح.

<u>مدعوون لنكون أنواراً:</u>

إن الرب؛ وهو النور الحقيقي للعالم صعد – بعد القيامة – إلى السماء. وكما يعكس القمر نور الشمس؛ فالله دعانا لنعكس نور المسيح في هذا العالم المظلم. وإذا أضاء كل مؤمن بنوره بكل قوة فجميعنا – ككنيسة – سننير في هذا العالم ونأتي بالنفوس الضالة إلى المسيح. لقد أعلن – له

المجد – ذلك ببساطة إذ قال: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

موضوع العدد(٣) بقلم: كولين سولتر

يسطع نورنا بالمسيح

المعنى الكتابي ل ''النور'' أكثر من ''الاستنارة'' وببساطة ''نور الصباح'' كشعب الله؛ فإن المؤمنين يستطيعون أن يُظهروا في مجتمعهم – محل عناية الله – وجهة نظر كتابية مضيئة. وفي هذا يوضح القاموس هوية الشخص المستنير بأنه ذلك الذي له رؤى واقعية ويقبل ويحتمل تبادل الآراء وينقاد بفكر منطقي وأضيف بأن أقول إن المؤمن ليس فقط يتصف بهذه كلها بل منقاد بالروح القدس في استخدام الحق الإلهي للكلمة لاتخاذ القرار في عالمنا المعاصر.

بينما يوضح ويحدد القاموس – أيضاً – بأن الاستنارة هي المستمدة من الشمس فإنها تعني بالنسبة للمؤمن استنارته من الابن. لماذا؟ لأن ابن الله – الرب له المجد – قال: :«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» وكلمة «نُورُ» في اصلها اليوناني تشير إلى النور الذي يصل إلى العين وذاك الذي يصل إلى الذهن أيضاً.

ذلك لأن المؤمنين يمتلكون مالا يمتلكه الآخرون والمجتمع بدون المؤمنين يفتقد إدراك حضور الاستنارة الإلهية. ونحن من نعترف بالمسيح كمخلصنا نعرفه أيضاً كمن خلق وأوجد النور للعالم يخترق وينفذ خلال ظلمة العالم. وهذا عين ما نقدم به ربنا يسوع للعالم. فقد قال لتابعيه: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ..... فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ١٤، ١٦).

إن النور يعيننا على الرؤية الصحيحة. والمؤمنون ليسوا بمعزل عن باقي العالم اجتماعياً. وأينما نُوجد فنورنا يجب أن يتضح ضوءاً ومظهراً فأعمالنا يجب أن تكون بصوت عال أكثر من كلامنا. فحينما يرى أصدقاؤنا، جيراننا وزملاؤنا في العمل نور الله يعمل فينا فسوف يتلامسون مع الرب يسوع نفسه. إن الكتاب المقدس يحتوى أمثلة كثيرة كيف أن أي شخص باستنارة الله لذهنه كيف تحوّل إلى الأحسن والأفضل.

كيف نرى حماية الله لنا:

في (٢مل٦) نقرأ عن أليشع رجل الله هدفا لقوة غاشمة من جيش آرام إذ أنه في مساء أحد الأيام كان بيته نحاطاً بهم وكان خادمه خائفاً مما رأى «جَيْشٌ مُحِيطٌ بِالْمَدِينَةِ وَخَيْلٌ وَمَرْكَبَاتٌ. فَقَالَ غُلاَمُهُ لَهُ: «آهِ يَا سَيِّدِي! كَيْفَ نَعْمَلُ؟ فَقَالَ: لاَ تَخَفْ، لأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ. وَصَلَّى أَلِيشَعُ وَقَالَ: يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْغُلاَمِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلاً وَمَرْكَبَاتِ نَارٍ حَوْلَ أَلِيشَعَ» (٢مل٦: ٨-٢٣).

إننا نكون في حال أفضل حينما ندرك عظمة قوة الله في حمايته لنا!

إن أعداءنا الظاهرين يحيط بهم من يحموننا وإن كانوا غير ظاهرين إن الله يسمح لنا بتلك الأمور وهو يجعل كل الأشياء تعمل معاً لخيرنا نحن المؤمنين لتقدمنا الروحي. وفي مجال حياتنا الشخصية والعائلية والكنسية والمجتمعية لنعلم يقيناً بأنه ليس هنالك شيء أو شخص أشد أو أقوى من إلهنا.

<u>لنلمس ونمسك بالمخلص:</u>

نقرأ في (لو٢: ٢١-٤٠) عن أثنين متقدمين في الأيام: سمعان وحنة ينشران وجهة نظر الله الباهرة في أحداث العالم. وكلاهما كانا ينتظران في هيكل أورشليم لميلاد المسيا. وحينما أحضر يوسف ومريم الطفل لختانه في يومه الثامن؛ فسمعان وحنة سجدا لله من أجل عطيته؛ ذلك الطفل الذي أتى ليكون مخلص العالم. وسط أفراح وإنشاد الجمهور في الهيكل في أنشطتهم الدينية تحرك هذان؛ سمعان وحنة، بالروح وشكرا لله من أجل الطفل وما قصد أن يتممه بواسطته.

ليس كل أحد يحمل هذه الصفة «نور العالم» فالكتاب المقدس يعلن بصراحة ووضوح إنهم أولئك الذين قبلوا سيادة المسيح على حياتهم لهم نور الله ليؤثر على كل ما يعملونه. شكراً لله لإيمان قطيع متقدمي الأيام نظير سمعان وحنة انتظرا وحظيا بمشاهدة المخلص. وأخبرا من حولهما بما سيحدث بمقدم ذلك الطفل. إن نظرتهما المستنيرة كانت ذات تأثير عليهم ونرجو -عزيزي القارئ- أن يكون ذلك من نصيبنا فنؤثر على من حولنا بالمثل.

<u>اختبار معونات الله:</u>

في (مت١٤) نجد أن الرب يعلّم ويشفي الجموع. وأهتم التلاميذ بصرف الجموع لكي يبتاعوا لهم طعاماً. وحثوه على ذلك – إلا أنه له المجد – قال: «لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». (ع١٦) والمعونة الإلهية هيأت غلاماً معه غذاءاً بسيطاً – خمسة أرغفة وسمكتان – وهو ما كان يكفي لإطعام الآلاف من الشعب بعد أن وُضعت بين يدي الرب بالإيمان وفاض عنهم.

وللوقت تعرّض تلاميذه لعاصفة هوجاء في البحر وهم يعبرون بحر الجليل. وكان ليلاً وهم بعيدون عن الشاطئ فرأوا شخصاً (هو الرب) يتجه إليهم على الماء فجزعوا وخافوا فقال لهم: «أنا هو لا تخافوا» وقال له بطرس بمزيج من الشك والإيمان: «يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء فقال تعال» فذهب حالاً.

وإذ بدأ إيمانه يهتز بادر السيد بإنقاذه وهنا ألوم بطرس فلو كنت مكانه ما كنت أغادر السفينة وإن كان الرب يلومني، هل أرى إيماني متزعزعاً؟ ألا يثبت الرب نفسه مخلصي يوماً فيوماً؟ (مت١٤: ١٣-٢١، ٢٣-٢٦). إنني أرى تلك التأكيدات كما في مرآة الآن هل أرى نفسي أعيش كنوره الخاص في الحياة؟ هل ينعكس فيّ الله حيثما سرت أو أعمل وأعيش؟ هل أنا شخص مؤثر لحساب الله وللأعمال الصالحة وسط الظلام؟

<u>وضوح استجابة الصلاة:</u>

بعد موته – له المجد – وقيامته المجيدة؛ فإن الكنيسة الناشئة ابتدأت تنمو. وفي (أع١٢: ١-١٩) نقرأ أن الملك هيرودس ألقى القبض على بعض رجال الكنيسة فقتل يعقوب ونوى أن يفعل ذلك أيضاً مع بطرس «وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلاَةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ» (أع١٢: ٥) ونحن لا نعلم إن كان أولئك المؤمنون توقعوا خلاص الرب لعبده بطرس من شر هيرودس. ويخبرنا الكتاب المقدس أن أولئك المؤمنين في بيت مريم (أم يوحنا) لم يؤمنوا بآذانهم ولا بعيونهم حينما وقف بطرس يقرع الباب في الليلة التي تسبق المحاكمة المزعومة واتهموا رودا الفتاة الجارية وقد عرفت صوت بطرس بأنها تهذي ولكن الواقع كان حقيقياً؛ إنه بطرس فاندهشوا (أع١٢: ١٥، ١٦).

أحياناً يكون لدينا نور الله يحاجي إيماننا وهو يقصد لنا أن نخطو خطوة للأمام ويدهشنا ما يفعله معنا. وفي حادثة بطرس وقد رافقه الملاك في الخروج من السجن ظن أنه ينظر رؤيا. وإذ ندرك بأن نور الله ليس يعني أن نعرف كل شيء عن شخصه الكريم أو طريقه فلن نصل إلى المرحلة التي نقول فيها ‘‘لقد تعلمت الكثير عن معرفته شخصياً’’.

إننا نشع نوراً بعد نجاتنا:

وأخيراً فإننا في (أع٢٧) نتعلم من بولس خادم الكنيسة المبكرة وقد تم أسره وتحت حراسة في سفينة متجهه نحو روما وإذ هاجت ريح عاصفة تعرضت لها السفينة لأيام كثيرة وبعد أسبوعين يتيقنوا أنهم يتجهوا يائسين نحو الأرض. وكانوا يطلبون أن يصير النهار ولم يكونوا يقصدون أنهم في حاجة إلى ضوء الصباح بقدر الحاجة إلى شخص مستنير.

وطمأنهم بولس – بإيمانه – بقوله: «لاَ تَكُونُ خَسَارَةُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ، إِلاَّ السَّفِينَةَ. لأَنَّهُ وَقَفَ بِي هذِهِ اللَّيْلَةَ مَلاَكُ الإِلهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ،» (أع٢٧: ٢٢، ٢٣) وأكد بولس إيمانه بالله حتى ولو تأكد من تحطم السفينة على أحد الجزر بعيداً عن شاطئ مالطة. وتم ذلك فعلاً كما تنبأ، لأنه كان يعرف نور العالم الذي يشع منه بفعل الرب لمن حوله. إن الحراس الرومانيين وركاب السفينة وجموع مالطة الذين رحبوا بكل لطف بالناجين شاهدوا برهان يسوع المسيح من خلال نور بولس وحياته وتعليمه (أع٢٧).

ودعنا – عزيزي القارئ – نعود مرة أخرى إلى تعريف رجل الله المميز: ‘‘إن المؤمن المستنير ليس فقط هو من يتم تشكيله بحيث يستطيع أن يحتمل الأفكار المتباينة بل أيضاً مقوداً من الروح القدس ليمارس حق كلمة الله بإعلانها للعالم اليوم’’ كما رأينا في إيليا وسمعان وحنة وتلاميذ الرب والفتاة الخادمة رودا ثم بولس الأسير وجميعهم يتطابقون مع هذا التحديد.

ماذا عن نوره في حياتنا؟

وهنا أسأل نفسي بعض الأسئلة وأدعوك – عزيزي القارئ – أن تشاركني في ذلك. هل نور يسوع المسيح ينبثق من حياتي؟ هل بذلك يتأثر الآخرون فيقبلون الرب كمخلصهم ويعيشون

بجانبي؟ هل كان ليّ تأثير على أفراد عائلتي لمجد المسيح؟ هل حياتي الشخصية تقدم دعوة للغير للإيمان أو عدمه بالمخلص؟ وهل إذا أتى رحيلي سيقولون ‘‘لقد تبع الرب يسوع في جميع مناحي حياته’’ إنني أرجو ذلك ولي نفس الأمل لك عزيزي القارئ لأن بطرس يخبرنا: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١بط٢: ٩).

خاتمة:

«لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لاَ مِنَّا» (٢كو٤: ٦، ٧).

كيف ينير الإنسان في عالم مظلم؛ إن كان هو شخصياً – روحياً وأدبياً – يعيش في الظلمة؛ إن فاقد الشيء لا يعطيه!

يحدثنا البشير يوحنا في الاصحاح التاسع عن ذلك المولود أعمى الذي التقاه المسيح فأنار بصره وبصيرته. لخص الرجل اختباره بالقول «كنت أعمى والآن أبصر» ! ليس فقط على مستوى الحاسة الجسدية، بل – وهذا هو الأهم – على المستوى الروحي إذ سجد للمسيح باعتباره «ابن الله».

عاش شاول الطرسوسي يهودياً متديناً من الطراز الأول، لكنه –في الواقع– كان يعيش في الظلمة حتى أشرق عليه نور أقوى من لمعان الشمس، حول الظلمة نور، وأبدل ليله إلى نهار معرفة المسيح الممجد (أعمال ٩) فصار بولس الرسول العظيم الذي استنارت بسبب خدمته قارات في أيامه.

عندما تحدث الرسول بطرس عن هذه النقلة الروحية أعتبر أن الله أبونا نقلنا ليس فقط من الظلمة إلى النور، بل بالحري « مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ » (١بط٢: ٩).

القارئ العزيز:

هل تبغي هذا الاختبار العظيم: الانتقال من ظلمات هذا العالم: الفكرية، والدينية ، والأدبية، والروحية...إلخ إلى نور الله العجيب؛ ذاك الذي هو ساكن في نور لا يُدنى منه؟

ليتك تأتي إلى المسيح الآن بالتوبة وبالإيمان فتختبر النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان.

معمودية التوبة

«كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا»

(مر ١: ٤)

في الوقت الذي نتحدث عنه الآن ظهرت شيعة غريبة تدعى شيعة الأسينيين، وانتشرت في فلسطين، لكن موطنها كان في واحة «عين جدي». ولابد أن يوحنا اختلط مع معتنقي مبادئ هذه الشيعة الذين كانوا متصوفي زمانهم.

كان هدف الأسينيين الطهارة الأدبية والطقسية. كانوا يسعون نحو المثل الأعلى للقداسة، التي اعتقدوا أنها لن تتحقق في هذا العالم. ولذلك هجروا القرى والمدن، ولجأوا إلى المغاير وشقوق الأرض. وكرسوا أنفسهم للزهد والتقشف والأصوام والصلوات، وكانوا يعولون أنفسهم ببعض أعمال زراعية خفيفة. ويخبرنا الذين بحثوا تاريخهم أن النقطة الرئيسية عندهم كانت هي الإيمان بكلمة الله الموحى بها. كانوا يرجون أن يصلوا إلى أسمى درجات الشركة مع الله بالتأملات والصلاة وتعذيب الجسد والغاسلات الكثيرة والتدقيق في حفظ نواميس الطهارة الطقسية. وقد اتفقوا مع الفريسيين في حفظ السبت بالدقة المتناهية. كان طعامهم اليومي من أبسط الأنواع، وكانوا يتناولونه في أمكنة اجتماعاتهم الدينية. وبعد الاستحمام كانوا يتلون بضع صلوات ونصائح، ثم يذهبون إلى غرف تناول الطعام بوجوه مغطاة كأنهم ذاهبون إلى هيكل مقدس، كانوا يمتنعون عن الأقسام ويحتقرون الثروة، ويمقتون جداً الحرب والعبودية، ويواجهون التعذيب والموت بكل شجاعة، ويعافون الانغماس في الملذات.

وواضح أن يوحنا لم يكن عضواً في هذه الجماعة المقدسة التي كانت تختلف اختلافاً بيناً عن الفريسيين والصدوقيين في زمانهم. كان الأسينيون يلبسون ملابس بيضاء رمزاً للطهارة التي

ينشدونها، أما هو فكان يكتفي بلبس ثوب من وبر الإبل، ووضع منطقة من جلد على حقويه. كانوا يغمسون الخبز بالزوفا، أما هو فكان يغمس بالعسل، كانوا يعيشون حياة اجتماعية، أما هو فعاش وحيداً منذ فجر حياته، لكن لا شك في أنه اتفق مع هذه الشيعة في كثير من التعاليم والتصرفات.

وبالرغم من ذلك فإن يوحنا المعمدان لم يتأثر بأية ظروف كائنة في عصره. فقد منحه الله قدرة انفرد بها وحده. أما إنه كان شاعراً بهذا فيتبين من تصريحه الذي قال فيه: «الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي» (يو ١: ٣٣)، ومن إجابة المسيح للفريسيين «معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟» يتضح أنه أراد أن ينقل إلينا نفس الفكرة. وفضلاً عن ذلك فإن الروح القدس يؤكد لنا على لسان الإنجيلي الرابع أنه: «كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ» (يو ١: ٦). كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة (لو٣:٣).

١. <u>الدعوة للتوبة:</u>

ليوحنا خدمة مع كل البشر. أو بتعبير آخر إنه يمثل نوعاً من التعليم والتأثر ينبغي أن نجوزه إذا أردنا حقاً أن نتبين نعمة المسيح ونقدرها حق قدرها. ينبغي أن يتم معنا نحن أيضاً عمل تمهيدي. هنالك جبال من الكبرياء ومحبة الذات يجب أن تمهد، هنالك طرق معوجة ومنحرفة يجب أن تقوم، هنالك خشونة يجب أن تصقل، وذلك إن أردنا أن نبصر مجد الله في وجه يسوع المسيح. وبقدر ما تكون توبتنا كاملة ودائمة بقدر ما ندرك ملء حمل الله ومجده.

لكن ينبغي أن نحذر كل الحذر هنا لئلا يظن أن التوبة نوع من الأعمال الصالحة ينبغي أن تتم لكي نستحق نعمة المسيح. ينبغي أن يكون واضحاً أيضاً أن التوبة يجب أن لا ينظر إليها بدون الإيمان في المخلص، فالإيمان جزء منها لا يتجزأ. وينبغي أن يكون واضحاً كذلك أنه ينبغي أنه بالرغم من أن «فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا» (أع١٧: ٣٠). فإن الرب يسوع رُفع «لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا» (أع٥: ٣١).

إن معنى التوبة بالتفسير الحرفي للكلمة اليونانية ‘‘هو تغيير العقل’’. ولعله من الأفضل أن نقول: تغيير في وجهة نظر الإرادة. إن النفس غير التائبة تختار طريقها وإرادتها دون مبالاة بناموس الله «لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ» (رو٨: ٧، ٨). أما التوبة فالنفس تغير موقفها. لأنها لا تعود بعد ترفض نير إرادة الله كثور حرون، بل تخضع له وتكون مستعدة أن تخضع. إن تأنيب الضمير يعمل بصفة مستمرة، والشعور بأباطيل كل المخلوقات موجود بصفة مستمرة، والرغبة الملحة نحو الحياة الحقيقية، ونحو الرجوع من الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله. قد تتمرد العادات، قد تنفر الميول، قد يعوزنا الشعور بالسلام والفرح، لكن الإرادة قد وضعت قرارها السري وبدأت في الرجوع إلى الله كما يحدث في دورة الأرض فإن المكان الذي نسكن فيه يصل إلى أبعد نقطة عن الشمس ثم يتجاوزها ويبدأ ببطء في العودة نحوها، إلى الدفء والحرارة.

مما لاشك فيه أن التوبة هي مِن عمل الإرادة. في بدايتها قد لا يكون هنالك أي شعور بالفرح أو الإصلاح مع الله، بل شعور بأن بعض طرق الحياة خاطئة وشريرة ومؤذية ومحزنة لله، ورغبة تتحول إلى عزم على الرجوع عنها، وطلب الله الذي صنع الجبال وخلق الريح، الذي يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض (عا٤: ١٣).

يمكن اعتبار التوبة بأنها الجانب الآخر من الإيمان. هما وجهان لعملة واحدة، ناحيتان لعمل واحد. إن كان عمل النفس الذي يأتي بها علاقة طيبة مع الله يسمى رجوعاً عن الطريق التي تسلكه فإن التوبة تمثل الرغبة في الرجوع عن الخطية، والإيمان يمثل الرغبة في الرجوع إلى الله. يجب أن نكون راغبين في الرجوع عن الخطية وعن برنا الذاتي. هذه هي التوبة. ويجب أن نكون راغبين في أن نخلص بالله، بطريقته ونأتي إليه من أجل هذه الغاية، وهذا هو الإيمان.

ونحن نحتاج إلى الرجوع عن برنا الذاتي كرجوعنا عن خطايانا. تحدث أوغسطينوس عن مساعيه وراء البر وقال عنها إنها خطايا جميلة. وبولس تنصل من كل المساعي التي بذلها للإصلاح مع الله قبل رؤية وجه المخلص. يجب أن تكف عن جهودك التي تبذلها لتخلص نفسك

ليست هذه إلا «ثوب عدة»[1] على حد تعبير النبي (إش٦٤: ٦). لا شيء غير المخلص وعمله ينفع النفس التي يجب أن تواجه الفحص أمام العدل الإلهي والطهارة الكاملة.

تأتي التوبة أحياناً وبصفة خاصة بالإصغاء إلى مطالب المسيح. فإننا نستيقظ فجأة لنتحقق من شخصيته، ونرى كيف يحبنا، وكم ينقصنا، والجحود الشديد الذي أظهرناه نحو آلامه، وقطرات دمائه وصليبه، وجمال صفاته، وقوة مطالبه.

وفي أحيان أخرى تنتج التوبة من كرازة يوحنا المعمدان. عندما نسمع الفأس توضع على أصل الشجر، وعن النار التي لا تطفأ المعدة لالتهام التبن، ترتعش فرائض القلب. عندما نؤخذ إلى حافة الهاوية فنضطر أن نرى طريق الغرور الذي نسلكه ينتهي بالهلاك المحتم. عندما تنهدم ثقتنا في برنا الذاتي ونسمع كرازة المعمدان في مثل هذا الوقت ترى النفس كيف خيبت كل آمالها في أباطيلها التي صنعتها لنفسها، وترجع منها كلها كما رجعت مريم من القبر الذي دفنت فيه آمالها فوجدت يسوع واقفاً، ومجد القيامة بادياً على وجهه ومحبته الملتهبة من عينيه.

وخليق بنا أن نميز بين الكلمتين «توبة» و«ندامة» فالأولى هي أول عمل للإرادة عندما تنتعش وتحيا بالروح القدس، فترجع من الأعمال الميتة لتعبد الله الحي الحقيقي والثانية تمثل الانفعالات التي تتأثر بقوة بمرور السنين بالروح القدس إذ يبين كل الآلام والأحزان التي سببتها خطايانا لربنا المبارك. إننا نتوب مرة واحدة لكننا نندم مراراً. إننا نتوب ونؤمن بالإنجيل، نؤمن بإنجيل ابن الله، وإذ ننظر إلى الذي طعنته خطايانا ننوح. إننا نتوب عندما نطيع دعوته للمجيء إليه لنحيا، ونندم إذ نقف خلفه باكين، ونبدأ بأن نغسل قدميه بدموعنا ونمسحها بشعر رؤوسنا.

إن لم يكن يوحنا المعمدان قد عمل عمله فيك قط فأحرص على أن تفتح قلبك لصوته المداوي. دعه يتمم خدمته. أحرص على أن لا ترفض مشورة الله إذ تخرج من شفتيه، بل عرض نفسك لقوتها الفاحصة، واسمح لها بأن تتخذ طريقاً مستقيماً. إن المعمدان يأتي لكي يعد طريق الرب، ويقوم في قفر طبيعتنا سبيلاً لإلهنا (إش٤٠: ٣). وطبيعي أنك إن كنت منذ حداثتك قد

---

[1] –أو «ثوب الطامث» أو «خرق قذرة» حسب الترجمة الإنجليزية

نعمت بالحياة مع والدين تقيين، وقد تحول قلبك الصغير إلى الله في فجر الحياة، فلا داعي لك لتجوز هذه الاختبارات مثل الذين قضوا السنوات الطويلة في خدمة الشيطان. هؤلاء ليست لهم إلا كلمة واحدة هي «توبوا». يجب أن يتخذوا في لحظة ما موقفاً مختلفاً نحو الله والقداسة نحو المسيح وخلاصه.

٢. علامات ومظاهر التوبة:

١. الاعتراف: «وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ» ليس من الميسور أن نقول ماذا تعنيه هذه العبارة بالدقة. لكن لعل المقصود أن الناس إذا أحسوا بتأنيب الضمير ومرارة النفس بسبب فساد حياتهم وشعورهم بخطاياهم الدفينة وقفوا «مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ» كما حدث في موقف خالد بعد ذلك بوقت طويل (أع١٩: ١٧-٢٠).

اعتراف المتمسك بمجرد المظاهر أن قبر خدماته الدينية المبيض يخفي عفونة ونتانة. واعتراف الجموع بأنهم أنانيون شهوانيون أغلقوا أحشاءهم ورفضوا أن يقدموا للفقراء ما يحتاجونه من لباس وطعام. واعترف العشار بأنه قد ابتز أموالاً أكثر من اللازم. واعترف الجندي بأنه تحت ستار وظيفته أزعج المساكين ووجه التهم الكاذبة لكثيرين من الأبرياء، اعترف صاحب السيرة الشريرة أنه كثيراً ما كمن للدماء وأهلك الأبرياء طمعاً في ربح أو حقد عليهم. وهكذا امتلأ الجو من صراخ وتنهدات الجماهير المتألمين الذين رأوا خطيتهم لأول مرة في نور الأبدية وفي ضوء هلاكها المحتوم. وهكذا كانت لهب «الغضب الآتي» تسطع أشعتها الفاحصة على التصرفات التي كانت ترى في غبش الجهل والإهمال أنها لا غبار عليها.

وبجانب شاطئ ذلك النهر اعترف الناس بخطيتهم لا إلى الله فحسب بل أيضاً إلى بعضهم البعض. وهنا زالت الأحقاد القديمة، وسويت النزاعات السابقة، وتبدلت كلمات الاعتذار والصفح، وتصافحت الأيدي بعضها بعضاً بعد مرور سنوات من القطيعة والنزاع.

الاعتراف علامة أساسية للتوبة الصادقة وبدونه يصبح الغفران مستحيلاً. «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أم٢٨: ١٣) «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يو١: ٩). طالما كنا ملتزمين الصمت فإن عظامنا تشيخ في آلامنا الداخلية، وتحرقنا الحمى ببطء. ولا يمكن أن نجد راحة ولو اضطجعنا على أريكة من حرير، لكن عندما نعترف بخطايانا فإننا نجد الراحة في الحال «قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي» (مز٣٢: ٥).

اعترفي لله بخطيتك أيتها النفس المتعبة المحرومة من رؤية المسيح. الأرجح جداً أن خطية دفينة، أو خطية لم يعترف بها، تحجب أشعة الشمس الحقيقية. لا تلتمس المعاذير، لا تهون شيئاً، لا تتحدث عن الخطأ في الحكم على الأشياء، بل عن عدم استقامة القلب والإرادة. لا تكتف باعتراف إجمالي بل أذكر خطاياك بالتفصيل. قدم كل تصرف خاطئ أمام محكمة الله العادلة، اكتشف الأسرار وتحدث عن الرواية المظلمة الأليمة. ابدأ من البداية ثم كمل اعترافك. وحالما تعترف بخطاياك فإنك تجد التأكيد بالغفران من أجل ذاك الذي أحبنا وبذل نفسه كفارة لخطايانا، وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم. حالما تنتهي من الاعتراف، بل حتى في أثناء الاعتراف، نسمع الصوت الإلهي يؤكد لنا بأن خطايانا الكثيرة قد أبعدت عنا كبعد المشرق من المغرب، وقد طرحت في أعماق البحر.

لكن الاعتراف يجب أن لا يكون لله وحده ، عندما تكون الخطايا قد أساءت إلى الآخرين. إن كان لأخينا شيء علينا وجب أن نبحث عنه –تاركين قرباننا على المذبح– ونصطلح معه أولاً. يجب أن نكتب خطاباً طالبين الصفح، أو ننطق بكلمات الاعتذار، يجب أن نصلح ما أفسدناه إصلاحاً كريماً ونعوض ما أتلفناه. يجب أن لا نتخلف وراء صفوف خطاة العهد القديم الذين أمروا بأن يضيفوا خمساً عند رد الخسائر التي سببوها لإخوتهم. والخطية الوحيدة التي نتبرر في الاعتراف بها لإخوتنا هي التي ارتكبناها ضدهم. وما عداها فيجب أن نعترف بها لله.

٢. <u>أثمار تليق بالتوبة:</u>

«فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (لو٣: ٨). هذا ما قاله يوحنا، بشيء من الغضب عندما رأى الكثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته. لقد أصر على أن المسيحية العملية ليست أقوالاً بل حياة، ليست مجرد المظاهر والطقوس بل المبادئ. وقرر بأن صدق التوبة يجب أن تشهد له الثمار المناسبة «هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟» (مت٧: ١٦).

ولعل طلب المعمدان هذا هو الذي بعث زكا على اعترافه للمسيح لما دخل إلى بيته. كان هذا العشار الغني يعيش في أريحا التي كرز يوحنا بجوارها، والأرجح أنه كان واحداً من العشارين الذين خلبت لبابهم خدمته. إننا نتخيل التعليقات التي يمكن أن تكون قد جرت على ألسنة أصدقائه حينما رأوه فتهامسوا بعضهم إلى بعض. وقال واحد منهم «أليس هو زكا؟». وقال الآخر ‘‘ماذا يفعل هنا؟’’. وقال ثالث ‘‘لعله يجيء الوقت لكي يعود إلى صوابه’’. وقال رابع ‘‘أرجو أن يستطيع المعمدان التأثير على حياته’’.

وكان هناك ما مس ذلك القلب المتحجر. لقد نبت فيه رجاء عظيم وعزم أكيد. لعله اشترك في الاعترافات السابق الإشارة إليها. لكنه فعل أكثر ذلك. فإنه لدي وصوله إلى أريحا صار إنساناً جديداً. لقد أعطى نصف أمواله لإطعام المساكين، وإن كان قد وشي بأحد رد أربعة أضعاف. كثيراً ما شوهد خادمه في أحقر أحياء المدينة باحثاً عن أفقر المساكين وموزعاً عليهم الصدقات من شخص مجهول. وسر الكثيرون من الفقراء إذ وجدوا مبالغ محترمة تدفع إليهم مع قصاصة ورق موقع عليها من محصل الضرائب الغني يقول فيها ‘‘لقد أخذت منك مبلغاً من المال منذ سنوات دون أن يكون لي الحق فيه، وها أنا أعيده إليك مع تعويض أربعة أضعاف’’. وإن سأله أحد عن سبب كل هذا أجاب ‘‘لقد نزلت إلى الأردن وسمعت المعمدان وأعتقد أن الملكوت قريب وأن الملك قد أقترب وأريد أن أستعد له’’

إنك لا تستطيع أن تصطلح مع الله إلا إذا اصطلحت مع أخيك الإنسان. لا يكفي أن تعترف بالإساءات التي اقترفتها بل يجب أن تكون مستعداً للتعويض عنها على قدر استطاعتك. ليست الخطية أمراً هينا، ويجب معالجتها من جذورها وفروعها.

٣. معمودية التوبة:

«وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ» (مر ١: ٥). إن خاصية التطهير التي للماء قد أعطته أهمية دينية منذ الأجيال السحيقة فالبشر نظروا إلى الخطية كتلوث في القلب، وصاغوا طلباتهم لإزالتها في كلمات مشتقة من استعمال الماء «طهرني بالزوفا فاطهر. اغسلني فأبيض أكثر من الثلج».

لقد تاقوا أن يشعروا بأنه كما يتخلص الجسد من الدنس هكذا ينبغي أن تتحرر النفس من التلوث. وفي بعض الأحيان اتخذت هذه الفكرة شكلاً مادياً فنسب الناس لمياه بعض الأنهار، كالجنح والنيل وإبانة، قوة سحرية للتطهير من الخطية.

على أنه لم يكن في تعليم يوحنا شيء من هذا. فإنه لم يناد بمعمودية الولادة الثانية، بل بمعمودية التوبة. كانت تعبر عن وترمز إلى رغبة النفس وقصدها أن تعترف بخطاياها كشرط أساسي للحصول على الغفران الإلهي.

ليس أمراً جوهرياً أن نناقش الموضوع الشائك الخاص بالمصدر الذي استقى منه يوحنا معموديته. فالبعض يقولون أنه استقاها من عادات الاسينيين أو ممارسة هذا الطقس. لكنه يكفينا أن نذكر بأنه قد أُرسل ليعمد، وأن فكرة معموديته كانت «من السماء»، وأن الطقس إذ وصل إلى يديه اتخذ شكلاً جديداً وأهمية جديدة. كان يعني الموت عن الماضي ودفنه، والقيامة إلى حياة جديدة أفضل، كانت النفس إذ تنسى ما هو وراء، وتموت عنه، وتحدث بأن تدرك معنى هذه الخدمة الرمزية، وتمتد إلى ما هو قدام وإلى ما هو فوق، إلى ما هو أفضل. واثقة أنها إذ تفعل هذا قد قبل الله اعترافها، وأنه كان ينتظر أن يقبلها راحماً ويحبها فضلاً.

من السهل أن نرى كيف وجد كل هذا قبولاً عند الشعب، ومس قلوب الشباب بصفة خاصة! في ذلك الوقت كان هنالك بجوار بحر الجليل جماعة قليلة من الشبان الغيورين الذين تأثروا جداً بالتيارات الفكرية المحيطة بهم، وكانوا يمقتون أسلوب حياة الرومانيين، وعلى أحر من الجمر انتظاراً لمجيء الملكوت.

عندما كانوا يقضون ساعات الليل في سفن الصيد في بحر الجليل كثيراً ما تحدثوا عن عهد الله القديم، وعن مجيء المسيا وعن رجاسات خدمة هيكلهم المحبوب. وإذا آتتهم الأنباء يوماً ما عن هذا الكارز الجديد الغريب، تركوا كل شيء، وهاموا على وجوههم حتى وصلوا إلى وادي نهر الأردن، فوقفوا مبهورين أمام كلماته,

تعرف يوحنا عليهم كلهم، أما واحداً فواحداً أو جملة، فأصبحوا أصدقاءه الحميمين وتلاميذه الموالين. نحن نعرف اسم واحد أو أثنين منهم، وهذان تركا معلمهم السابق لإتباع المسيح. لكننا لا نعرف شيئاً عن الباقين سوى أنه علمهم أن يصوموا ويصلوا، وأنهم التصقوا بمعلمهم العظيم بذلك الذي سبق أن نظروا إليه بشيء من الشك بأنه منافس له.

كان ذلك يعني شيئاً كثيراً ليوحنا. فإنه لم يكن له أصدقاء قط. ولا شك في أن محبة وولاء هؤلاء الشبان النبلاء والتفافهم حوله بعثت في نفسه راحة جزيلة. لكنه كان يحول أنظاره بصفة مستمرة عنهم أجمعين، كأنه كان يتطلع إلى شخصية أسمى تبرز حالاً من الجماهير، وإلى ذاك الذي يبعث صوته في نفسه أعظم فرح، ويكمل فرحه، لأنه سيكون هو صوت العريس نفسه.

حياة يوسف بقلم: ف.ب.ماير

الأيام الأولى (تك٣٧)

قال أحدهم أن مهمتنا العظمى هي أن ننفض عن الحقائق غبار الإهمال الذي تراكم عليها بسبب التسليم العام الذي قوبلت به. هذا قول حق. فإنه أينما وجدت حقيقة تدافع عن بقائها اضطر البشر – أرادوا أو لم يريدوا – للتأمل فيها. أما إذا أستقر بها الأمر لمهمة عظمى أن ننقذ أمثال هذه الحقائق من الإهمال، أن نسلط نوراً قوياً يسترعى الانتباه وهذا ما أقصده إليه من كتابة هذه السيرة العاطرة. فنحن نظن أننا نعرف عنها كل شيء ومع ذلك قد يكون هنالك معان عميقة ومناظر جميلة خفيت عنا لأنها صارت مألوفة لنا.

فلنتأمل معاً في حياة يوسف. وعندئذ نستطيع أن نكتشف الكثير من الحقائق عن ذاك الذي طُرح في جب الموت، ولكنه يجلس الآن عن يمين القوة رئيساً ومخلصاً.

١. المؤثرات التي تأثرت بها حياته الأولى:

قبل أن تبدأ روايتنا بسبعة عشر عاماً ولد طفل لراحيل، وزوجة يعقوب المحبوبة. كان يعقوب وقتئذ يعمل في إدارة شئون خاله لابان في مراعي حاران القديمة الكائنة في وادي الفرات ودجلة، والتي دعى منها الله جده إبراهيم. استقبل الطفل استقبالاً حاراً من والديه، ومنذ البداية أظهر أنه ينتظره مستقبل مزدهر غير عادي. كان كأحد أولئك الصبية الذين نجدهم أحياناً في العائلات الكبيرة متميزين عن سائر رفاقهم.

ويااله من تاريخ جليل مر في تلك الفترة. فإنه إذ كان لا يزال طفلاً حملته أمه بسرعة، واحتضنته ممتطية ظهر جمل يساق بأقصى سرعة، عندما هربت العائلة عابرة الصحراء الجرداء، التي لا يوجد بها سوى واحة واحدة، والممتدة من شاطئ نهر الفرات إلى مراعي جلعاد الخضراء.

وهو بالكاد يذكر الفزع الذي انتشر في كل أرجاء المحلة عندما وصلت الأنباء بأن عيسو – عمه الحانق – يتقدم مسرعاً ورفقته أربعمائة من أتباعه. وأني له أن ينسى تلك الأمسية التي كانت

مليئة بالاستعدادات، وليلة الانتظار الرائعة، وذلك الصباح الذي ظهر فيه أبو وهو يخمع على حق فخده في المحلة، والذي فيه بدت على وجهه إمارات العظمة الروحية بالرغم من تشوه جسده.

كان كذلك يذكر الإسراع في الهرب من عبدة الثائرين في شكيم، وتلك الساعات الرهيبة في بيت إيل التي يرجح أن أباه أراه فيها نفس الموقع الذي ارتكز فيه ذلك السلم الرمزي والذي فيه دخلت كل الجماعة في عهد جديد مع الله.

قد تكون هذه هي نقطة التحول في حياته. فمثل هذه الأحداث لها تأثير عميق في قلوب الصبية. ولعل باقي أولاد يعقوب ظلوا متفرجين عديمي التأثير حينما وقفوا معاً في تلك البقعة المقدسة. وسمعوا تلك الرواية التي طالما رددت على مسامعهم، وأمسكوا بأيدي بعضهم البعض أثناء قطع العهد المقدس. أما الصبي الصغير فقد تأثر قلبه الحساس كل التأثر. «هو يهدينى حتى لى الموت» (مز٤٨: ١٤).

أن صح هذا فإن هذه التأثيرات سرعان ما عمقها موت ثلاث شخصيات. لأنه عندما وصلوا مقر العائلة اصطدموا بموت دبورة، تلك المرضعة القديمة. كانت هي آخر حلقة لتلك الأيام المزدهرة التي أتت فيها سيدتها الشابة رفقة عابرة الصحراء لتكون زوجة لإسحق. بعد ذلك دفنوها في دموع غزيرة تحت بلوطة قديمة.

كذلك لم ينس قط الحادث التالي: فقد كان الركب يتحرك ببطء نحو قرية بيت لحم القديمة. وبغته توقف. فإن راحيل المحبوبة لم تستطيع أن تخطو خطوة واحدة. عند غروب الشمس، وسط المناظر التي التقي فيها فيما بعد بوعز براعوث، والتي كان داود يرعى فيها غنمه، والتي سار فيها يوسف البار بجوار الحمار يحمل الأم المطوبة وأبنها المقدس هنالك ماتت راحيل أم يوسف. وكانت هذه أكبر خسارة حلت به.

وبعد فترة وجيزة وقف الصبي مع أبيه وأخوته أمام مغارة. المكفيلة الرهيبة لدفن إسحق في الموضع الذي كان ينتظره فيه إبراهيم وسارة ورفقة، حيث كان مزمعاً أن يدفن أباه يعقوب بعد سبع وعشرين سنة.

كانت هذه هي المؤثرات التي صاغت حياة يوسف. إما القليل من العطف الذي لقيه من أسرته فإنه طوح به بعيداً، واضطره أن يعيش بجوار عين (تك٤٩: ٢٢) ويؤصل جذوره عميقاً في الحياة الإلهية.

قد يقرأ هذه السطور بعض الشبان في سن السابعة عشر ممن يجوزون ظروفاً كظروف يوسف. ربما يكونون قد فقدوا بعض الأصدقاء الأتقياء، أو أفرغوا من آنية لأخرى، أو يشعرون بالوحشة وسط أوطانهم. دعني أسألهم بكل وقار عما إذا كانوا قد دخلوا في عهد مقدس مع الله هل عقدتم النية على أن يكون الله إلهكم؟ هل وضعتم أيديكم في يد «عزيز يعقوب»؟ (تك ٤٩: ٢٤).

هذا السؤال خطير لأن الإجابة عليه قد يتوقف عليها مصير حياتكم. اختاروا المسيح، وباختياره تختارون الحياة والبركة والسماء، وإذا ما اخترتموه تمسكوا به، وعمقوا جذوركم إلى عيون الشركة العميقة معه.

٢. اختبارات حياته العائلية:

كانت ليوسف موهبة الذكاء الخارقة العادة. كان يدو كأنه رئيس رعاة (ع٢)، وأن أبناء بلهة وزلفة كمساعدين له خاضعين لأمره بصفة ربانة اليهود بأنه كان أبناً حكيماً وهب حكمة تفوق سنه. من أجل هذا، ومن أجل حلاوة طبعه وذكريات أمه، أحبه أبوه محبة خاصة. «وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه».

وهذه المحبة أعدت له قميصاً ملوناً. اعتدنا أن نظن بأن هذا القميص كان قميصاً مرقعاً من قطع كثيرة ذات ألوان مختلفة، وأنه ليأخذنا العجب من أن رجالاً بالغين يأكل قلبهم الحسد والغيرة لدى تطلعهم إلى قميص كهذا كان يلبسه أخوهم الصغير ولكننا إذا ما دققنا البحث تصححت هذه الآراء فالكلمة العبرانية تعني مجرد جلباب طويل مما يلبس عادة في مصر والأقطار المجاورة. تخيل جلباباً طويلاً مصنوعاً من كتان أبيض يصل إلى الكعبين. ويصل الكمان إلى المعصمين، مزيناً بشريط ملون على حافته، وعندئذ تتكون لديك فكرة عن هذه القميص الحافل بالذكريات.

ونحن أن نستطيع أن ندرك سبب حسد أخوته. فقد كان هذا القميص لا يلبسه إلا أولاد الموسرين والأشراف، وأولاد الملوك، ومن لا تدفعهم الحاجة ليكودا في سبيل العيش. ا كل الذين كان يجب أن يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم فكانوا يلبسون الملابس القصيرة الداكنة اللون، لكي لا تظهر عليها آثار الأقذار، أو تعيق حركة الأطراف. هذا كان نصيب أولاد يعقوب من الكد والكفاح وهكذا كانت الملابس التي يلبسونها، ويحملوا على مناكبهم الحملان الضالة ويكافحوا مع اللصوص والوحوش المفترسة. إذاً فلم تكن الملابس الطويلة تليق بمثل هذه الأعمال العنيفة.

ولكن عندما أعطى يعقوب مثل ذلك القميص ليوسف فقد أعلن بالتبعية أن ابنه المدلل يجب أن يعفي من الكفاح والنضال. وفي تلك الأيام كانت إرادة الأب قانوناً. لذلك فعندما رأى أخوته أن أخاهم قد تهندم بهذا القميص أحسوا بأنه سوف يكون له نصيب الأسد في المعيشة، أما هم فيجب أن يعيشوا حياة التعب والنصب. «فلما رأى أخوتهم أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته ابغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام» (ع٤).

وتحرج الأمر بسبب أحاديثه الواضحة. فإنه «أتى بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم» (ع٢). قد يبدو لنا لأول وهلة أن هذه صفة ذميمة في أخلاقه. فالمحبة تستر كثرة من الخطايا، كما ستر ابنا نوح عورة أبيهما.

ولكن لعله كانت هناك ظروف تبرر بل تأمر بإفشاء الأمر. قد تتطلب الشفقة المخلصة أحياناً أن نفضح أخطاء من نعيش ونعمل معهم، ن كنا لا نفلح في معالجتها بالنصائح المتكررة. لأننا إن سمحنا لهم بالاستمرار في الخطية دون أن نفضحهم فيها، وازدادوا جرأة ووقاحة، وتوغلوا فيها إلى مدى أبعد.

وفضلاً عن ذلك فالأرجح أن يوسف كان مكلفاً برقابتهم ومسئولاً أمام أبي عن تصرفاتهم. لقد كان غيوراً على سمعة العائلة التي كانوا قد لوثوها بين سكان الأرض (تك٣٤: ٣٠). وكان غيوراً على مجد الله الذي كان يجدف على اسمه دواماً بسببهم. ولذلك أخبر أباهم بحقيقة الموقف، دون أن يحاول إخفاء الشر.

كان هذا سبباً كافياً لكي يبغضوه: «لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور» (يو٣: ٢٠). قال آخاب الحانق عن ميخا «إنني أبغضه لأنه لا يتنبأ عليّ خيراً بل شراً» (١مل٢٢: ٨). وقال ربنا حزيناً «لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضني لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة» (يو٧:٧). وهذا ما يحصل دواماً: إن العالم إن أحبنا وتحدث عنا حسناً كان خليقاً بنا أن نتساءل عما إذا كنا ملحاً نقياً لاذعاً وسط فساد العالم أو أنواراً وسط ظلماته الدامسة. لأنه حالما تصبح حياتنا مخالفة لمستوى العالم، وموبخه له، فلابد أن نهيج سخطه وحنقه. قال أحد حكماء اليونان قديماً ‘‘أي شر صنعت حتى يمدحني الناس جميعاً’’؟

والأكثر من ذلك بأن يوسف حلم بأنه سوف يكون مركز الدائرة لكل الأسرة. جميع الشبان يحلمون. مالم يكن نصيبنا في الحياة قاسياً ومشئوماً فإننا جميعاً في أيم الشباب المشرقة نلبس قميص يوسف ونحلم، نحلم بالعظمة التي تنتظرنا والنجاح الذي نتوقعه، نحلم بالنبل والبطولة، نحلم بالخير الذي سوف نحصل عليه ونسديه للآخرين. نحلم بأن السماء سوف تمطر البركات الوفيرة، وأن الأرض سوف تمهد الطريق لأرجلنا بالرياحين، وتقدم لأفواهنا الثمار النقية، وأننا سوف نتفوق على جميع من سبقونا، ونجلس على عروش العظمة، ويخضع لنا كل أعدائنا ومقاومينا. ولكننا للأسف سرعان ما نجد أن قميصنا لطخ بالدماء، وأننا طرحنا في الجب، أو بعنا كعبيد.

أما أحلام يوسف فإنها لم تنبئ عن رفعته فقط، بل عن إذلال إخوته أيضاَ. إن كان هو الحزمة المتوسطة فإن حزمهم يجب أن تخضع بالسجود حولها. إن كان سوف يرتقي إلى العرش فإن الشمس والقمر والكواكب يجب أن تسجد له.

هذا ما لم يستطيع أخوته المتعجرفون أن يحتملوه «فزدادوا أيضاً بغضاً له» (ع٥).

وكان هنالك سر أعمق لعداوتهم. عندما خاطب الله الحية في جنة عدن قال لها: «وأضع عداوة بينك وبين المرأة نسلك ونسلها» (تك٣: ١٥). هذه من أعمق كلمات الكتاب المقدس هي المفتاح لكل أسفاره. فكل ما يأتي بعدها أنما يبرهن على عنف الصراع بين أولاد الله وأولاد إبليس،

وعلى أن هذا الصراع شامل للجميع. لقد ظهرت هذه العداوة بين قايين وهابيل. لقد مررت كل حياة عائلية، ومزقت شمل كل بيت وسوف تهز كل المسكونة.

كان هذا هو سر النزاع الذي شجن حول يوسف. وإنني أعتقد أن البيت كان سيئ التدبير وأنه كان مليئاً بكل أنواع الشرور التي تنجم عن تعدد الزوجات، وأن يعقوب كان غير كفء لإدارة شئونه.

ولكنني أرى فيه أيضاً عينة من ذلك النزاع الذي تحدث عنه المسيح «جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها...وأعداء الإنسان أهل بيته» (مت١٠: ٣٥، ٣٦).

أيها القارئ العزيز: هل اختبرت في حياتك ذلك الاختبار المر الذي اختبره يوسف؟ هل تصوب السهام نحوك؟ هل تحس بالوحشة والانقباض، وكدت تبتلع من فرط اليأس؟ تشجع، عالماً أن هذا الطريق قد سلكه آخرون قبلك. لقد عومل المسيح ربك نفس المعاملة من خاصته. استمر في عمل الخير غير مخوف بشيء من خصومك. كن رحيماً رقيقاً. مسامحاً محتملاً. احذر بصفة خاصة من أن تعالج أمرك بنفسك طالباً الإنصاف بغطرسة.

إن كنت خادماً فاحذر من أن تقابل الإساءة بالإساءة. قدم ظهرك للضاربين وخديك للناتفين. لا تنتقم لنفسك. بل أعط مكاناً للغضب. اقتف نفس الآثار التي سلكها المخلص. لأنه ترك تلنا مثالاً لكي نتبع خطواته. إنه لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر. ومع ذلك فإنه إذ شُتم بلا مبرر لم يشتم عوضاً، وإذ تألم ظلماً وعدواناً لم يذكر مضطهديه حتى بدينونة الله العادلة. بل صمت كحمل وديع، لم يهدد بل سلم لمن يقضى بعدل (١بط٢: ٢٢، ٢٣)

وماذا كانت النتيجة؟ لقد جاز يوسف أحقاد ومقاومة أعدائه. وتمت أحلامه حرفياً في أيام سعادته الذهبية التي أتت أخيراً كما جلس يسوع –بعد الصليب– عن يمين الله رئيساً ومخلصاً.

وأنت يا من تتجرع كأس الآلام الآن، ثق بأنه لأبد أن يأتي أخيراً ذلك الوقت الذي يظهر الله فيه حقك وينتقم لمظالمك «أتكل على الرب وأفعل الخير.. سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري. ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. أنتظر الرب وأصبر له.. كف عن الغضب وأترك

السخط، ولا تغر لفعل الشر. لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» (مز٣٧: ٣-٩).

حياة صموئيل بقلم:ف.ب.ماير

عصر الانتقال

(١صم١)

«نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ» (اكو١٠: ١١)، أي انتهاء دهر وابتداء دهر آخر. هذا هو موقفنا اليوم، في كل ناحية يخلي النظام القديم مكاناً للنظام الجديد. هذا هو الحال في أيام الكنيسة الأولى عندما أخلى نظام الطقوس اللاوية الرمزي المكان «للسموات عينها». وكان هذا هو الحال أيضاً في بداية أيام صموئيل. فقد كانت حياة صموئيل فترة انتقال مباركة بين أيام القضاة وأيام داود الملك.

إلى ذلك الوقت كان رئيس الكهنة هو السلطة العليا التي تعترف بها أمة اليهود. لم يكن ممكناً – بطبيعة الحال – أن يوجد من يخلف موسى مؤسس تلك الأمة. أما هارون فقد كان بداية سلسلة من الكهنة متصلة الحلقات. لم تقم وظيفة أخرى تمثل كل إسرائيل مثل الكهنوت. لم يقصد للعهد الموسوي أن يصل إلى القمة في عهد رئيس الكهنة الذي يندر أن نراه قد جمع بين الخدمات الروحية والصفات الخاصة التي يجب أن يتحلى بها قائد عظيم وحاكم قدير. فكثيراً ما التوى حكم رجال الكهنوت في العهد القديم بسبب التعصب، والظلم، وكبت الآمال البشرية السامية.

في الآيات الأخيرة من سفر راعوث، الذي يرتبط به سفر صموئيل الأول بحرف عطف (في الترجمة الانجليزية)، نرى أنه كانت هنالك فكرة عن حدوث تقدم جديد في السياسة اليهودية، فإن سلسلة النسب، التي اختتم بها سفر راعوث، والتي كانت قمة تلك الرواية الراعوية الحلوة، ليست لها علاقة بهارون، ولا بنسله، بل واضح أنها تتصل بسبط يهوذا، الذي لم يذكر عنه شيء بصدد الكهنوت.

واضح أن القصد الإلهي كان يتقدم نحو الأمام. ولكن إذ نرجع إلى الوراء، ونطلع لكل الظروف، واضعين نصب أعيننا الحقائق التي تمت، نقدر أن نرى بأن القصد الإلهي كان يتحرك ببطء نحو تأسيس مملكة تحت حكم داود، وكانت محتجبة عن كل الأعين حركة أكثر عمقاً نحو

إعلان «النبي الأعظم»، الذي كانت طبيعته العجيبة سوف يجتمع فيها الكهنوت، والنبوة والملكية، بتناسق تام، وجمال رائع.

١. كانت الحاجة ماسة إلى رجل قوي:

كل عصر يرفع الصوت عالياً: «أعطونا رجالاً». لكن إن كانت هنالك حاجة ماسة إلى رجل قوي، فقد كانت تلك الحاجة أمس ما يكون في الأيام التي يعطينا عنها فكرة مذهلة سفر القضاة.

كانت أرض كنعان قد تم غزوها لكن سكانها القدامى لم يكونوا بعد قد أخضعوا. فقد بقوا فيها بكثرة كما بقى السكسونيون في بلادهم بعد أن أحتلها ملوك النورمان الأوائل. في الجنوب أحتل الفلسطينيون مدنهم الخمس. والجبل الحصين، الذي أطلق عليه أسم جبل صهيون، والذي تحصن فيه اليبوسيون، ظل شامخاً متحدياً كل قوة في أيام داود. وكان كل شاطئ البحر تقريباً، وكل الحصون في سهل اسداريلون[١] الغني، في أيدي الكنعانيين.

وبقيت مملكة جازر الصغيرة مستقلة إلى أن غزاها ملك مصر، وأعطاها مهراً لملكة سليمان، وعلى الحدود الشمالية كانت بقايا تلك الأمم العظيمة التي قلبها يشوع في معركة مياه ميروم (يش١٠: ١-٩)، والتي ربما أظهرت فقط ولاء اسمياً لسلطان إسرائيل المطلق. وهكذا «فَتَرَكَ الرَّبُّ أُولئِكَ الأُمَمَ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ سَرِيعًا وَلَمْ يَدْفَعْهُمْ بِيَدِ يَشُوعَ..... لِيَمْتَحِنَ بِهِمْ إِسْرَائِيلَ، كُلَّ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا جَمِيعَ حُرُوبِ كَنْعَانَ.. لِتَعْلِيمِهِمْ الْحَرْبَ. الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوهَا قَبْلُ» (قض٢: ٢٣، ٣: ١، ٢).

لولا وجود تلك القبائل الحربية لما سمعنا قط عن جدعون وباراق، ويفتاح، وشمشون، وداود، بدون هذا التدريب كان إسرائيل قد صار شعباً خنوعاً جباناً، تنقصه الشجاعة والقوة، وليسكنوا « وَرَأَوْا الشَّعْبَ الَّذِينَ فِيهَا سَاكِنِينَ بِطَمَأْنِينَةٍ كَعَادَةِ الصِّيْدُونِيِّينَ مُسْتَرِيحِينَ مُطْمَئِنِّينَ

---

[١]- لعل المقصود وادي يزرعيل

إِلَى شَعْبٍ مُطْمَئِنٍّ، وَالأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ. إِنَّ اللهَ قَدْ دَفَعَهَا لِيَدِكُمْ. مَكَانٌ لَيْسَ فِيهِ عَوَزٌ لِشَيْءٍ مِمَّا فِي الأَرْضِ». (قض١٨: ٧، ١٠).

كثيراً ما مررنا – في تدريبنا الروحي – في اختبارات مماثلة لهذه كثيراً ما اجتزنا الحروب حيث توقعنا السلام، والاضطهاد حيث توقعنا التحرر من كل مزعج، والتفريغ من إناء إلى إناء حيث نتعلم الحرب، توقعنا الاستقرار. أليس واضحاً أنه قد يسمح بهذا لامتحاننا لكي نتعلم الحرب، لكي نعرف أنفسنا ونعرف الله، لكي تنمو أخلاقنا وأخلاق أولادنا فتصير أكثر مما كان ممكناً أن تصل إليه بدون هذا؟

وفي حياة إسرائيل كان تعرضهم المستمر هذا لهجوم الأعداء عليهم يشتد في حالة عدم توفر حكومة قوية لديهم. كان الكهنوت قد تسلمته أياد ضعيفة منذ أيام فينحاس. ومما يؤيد هذا أن عالي لم يكن من بيت اليعازر، الابن البكر لهارون، والذي كان يجب أن تستمر الخلافة فيه، بل من بيت الابن الأصغر، أيثامار.

والأرجح جداً أن نسل الابن الأكبر برهنوا على عجزهم عن مكافحة فوضى زمانهم لدرجة أنهم أنزلوا ليخلوا الطريق لشخصية قوية برهنت على جدارتها لقيادة قوات إسرائيل. ولعل عالي أتى في شبابه عملاً قوياً رفعه إلى المركز السامي الذي أعطاه له قومه، ولو أننا، أول ما نقرأ عنه، نجده في حالة يرثى لها من ضعف الشيخوخة (١أي ٦: ٤–١٥، ٢٤: ٤).

كان يقوم أنبياء من وقت لآخر لمهمات وقتية: «أَعْطَاهُمْ قُضَاةً حَتَّى صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ» (أع١٣: ٢٠). «وَحِينَمَا أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَزَاحِمِيهِمْ» (قض٢: ١٨).

وعلى أي حال فقد كان حكم القاضي شعاعة عابرة من النور في ذلك العصر المظلم العاصف. كان سلطانه يمتد –على أوسع مدى– إلى سبطه والأسباط المجاورة.

فشمشون مثلاً لم يكن إلا بطل الجزء الجنوبي من البلاد، أما يفتاح فكان قائد الأسباط التي في عبر الأردن. وفي كثير من الحالات كانت وظيفة القاضي تنتهي بانتهاء الضائقة الخاصة التي استدعت وجودها. ولم تدم إلا حالتين أو ثلاث حالات، إذ دعت إلى بقائها أعمال بارزة قام بها القاضي، كما حدث في حالتي دبورة وجدعون.

هكذا كانت البلاد في خطر الدمار بسبب الفوضى الناشئة من عدم وجود حكومة، وبسبب الهجمات الخارجية. وإذ لم يتوفر مبدأ التماسك، أو نقطة التجمع، أو قائد معترف به، لم يتوفر من يقاوم ضغط الكنعانيين من الداخل، أو الأعداء من الخارج.

«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ» (قض١٧: ٦). «وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ» (قض٢: ١١). «وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ» (قض٣: ٩).

هذه الثلاث آيات، التي تكررت مراراً وبشدة، هي مفتاح كل سفر القضاة.

وعلاوة على هذا فقد كانت الالتزامات الدينية ضعيفة جداً. فمثلاً نجد اسم البعل وهو إله فينيقي، تكرر ثلاث مرات في أسماء أسرة شاول (١أي٢: ٣٠، ٣٣، ٣٤) وروايات ميخا، وراعوث، واستئصال الدانيين، تصور لنا صوراً محزنة عن حالات التفكك، والطياشة، وجموح الشهوة، والتعرض لهجوم الأعداء.

لهذا كان لازماً إدخال نظام جديد. كان الأمر يستدعي شخصية قوية جداً لإيجاد وحدة وطنية، ولتطوير حكم القضاة ليكون دائماً، وذلك بإقامة ملك (أو قائد قوي) يحكم البلاد، للإبقاء على ولاء إسرائيل لإله آبائهم، ولقيادة كل الأمة منذ حكم آخر قاض إلى حكم أول ملك، وسوف نرى أن هذه الشخصية تحققت بكيفية عجيبة في صموئيل النبي، الذي قاد شعبه من جيل إلى آخر دون حدوث أية ثورة أو انقلاب، الأمر الذي يحدث عادة عند حصول تغيير كبير.

٢. <u>كيف توفرت هذه الحاجة:</u>

تأتي هبات الله العظمى للإنسان عن طريق الكد والجهاد والتعب، هل يمكن أن نجد أمراً، من الناحية الروحية أو الناحية الزمنية، إصلاحاً عظيماً، أو اكتشافا نافعاً، أو نهضة روحية، لم تأت بالتعب والدموع، بالسهر وسفك دماء الرجال والنساء، الذين كانت آلامهم هي مخاض ولادتها؟ إن ما لا يكلف أية نفقة لا يفيد كثيراً في خلاص البشرية أو أغاثتها. والذين لا يهتمون إلا بخلاص أنفسهم لن يقدروا أن يخلصوا جيلهم. لكي يقام الهيكل كان يجب أن يتحمل داود المشقات الجسيمة. ولكي يتحرر انجيل نعمة الله من تقاليد اليهود كان يجب أن تكون حياة بولس الرسول سلسلة من الآلام متصلة الحلقات، ولكي يتم أي إصلاح أو أية نهضة في أي بلاد يجب توافر الشخصيات المستعدة لتضحية النفس والنفيس. ولكي تتم اكتشافات علمية عظيمة يجب توافر شخصيات أمثال جاليليو، وجالفاني، وفراداي، وأديسون، ويسهرون الليالي، ويصرفون الأيام في تعب متواصل سنوات طويلة. إن كان يجب تثبيت بعض الحقائق الدينية، أو إذاعتها، أو الدفاع عنها، يجب توفر شخصيات قوية مستعدة لتحمل الاضطهاد والتشهير، والاحتقار. قبل أن يعطي صموئيل لشعبه كان يجب وجود امرأة مرة النفس مثل حنة.

على بعد بضعة أميال من أورشليم شمالاً، وعلى حدود سبطي افرايم وبنيامين، كانت توجد «رامتايم صوفيم» (١صم١:١)، وكانت تُعرف أيضاً باسم «الرامة» (١صم١: ١٩) وهو الاسم الذي اشتهرت به في العهد الجديد (مت٢٧: ٥٧، مر١٥: ٤٣، لو٢٣: ٥١، يو١٩: ٣٨).

وكلمة «رامتايم» تعني الرامتين، إذ يرجح أنه كانت هناك الرامة العليا، والرامة السفلي، ولعله أشير إليهما (١صم٩: ١٣).

وكلمة «صوفيم» تذكرنا باسم جد ألقانة، المسمى «صوف». الذي يبدو أنه كانت له أهمية خاصة، حتى سمي المكان كله باسمه (١أي٦: ٣٥، ١صم٩: ٥).

في هذه المدينة الجبلية كان سيولد ولد يعطيها أهمية عظيمة جداً، ليس فقط في أيام حياته – إذ صارت هي قبلة أنظار كل الشعب – بل في أجيال كثيرة فيما بعد.

في أواخر أيام شمشون، في جنوب اليهودية، كانت تقيم أسرة في الرامة مكونة من ألقانة، وهو لاوي، وامرأته حنة (أي نعمة)، وفننة (أي مرجانة أو لؤلؤة). سبق أن عاش ألقانة في أفرايم، ولهذا اعتبر بأنه ينتمي لهذا السبط (يش٢١: ٢٠).

لم يكن تزوجه بامرأتين كسراً لناموس اللاويين، الذي لم يمنع تعدد الزوجات. لكنه كان تنظيماً لناموس الزواج، لأنه أحاط الحياة العائلية بمثل عليا تعيد الرجال والنساء تدريجياً إلى وضع الزواج الأصلي الذي تم في الفردوس (مر١٠: ٤-٩).

يُقال أن القانة تزوج بامرأة أخرى لأن حنة كانت عاقراً. لكن مهما كانت الأسباب فقد أدت هذه الخطوة إلى متاعب جسيمة. كان بيت الرامة مليئاً بالمنازعات والمخاصمات، التي كانت تزداد كلما ولدت فننة طفلاً جديداً، بينما كانت حنة لا تزال عاقراً.

كان حرمانها من البنين نكبة تكاد لا تحتمل (تك٣٠: ١). لكن الذي زاد في أحزانها جداً أنها كانت موضع هزء وتعيير بصفة مستمرة. ولم تقتصر الآلام على الرامة، لكن يبدو أنها كانت تصل إلى القمة عندما كان يذهب كل أفراد الأسرة – حسب عادة اليهود – لتقديم الذبيحة السنوية للرب. وكانت حنة مضطرة أن تشهد الأنصبة الكثيرة التي تعطي لضرتها، لكل بنيها وبناتها، عند وليمة الذبيحة، إذ كانوا يعملون وليمة مما تبقى من الذبيحة. في ذلك الوقت جلست الفقيرة في المزبلة، والمسكينة في التراب، في ذلك الوقت طعن نفسها سيف الرب، فهبطت إلى الهاوية. في ذلك الوقت لم تجد ما يشبع جوع نفسها حتى مع تأكدها من محبة القانة لها (١صم١: ٥، ٨، ٢: ٥-٨). لكن نتيجة لتعب نفسها هذا، كان سيولد فرح حياتها ومخلص بلادها "صموئيل النبي".

أبطال المحبة

الكرام والمكارم

الأفاضل والفضائل

الأسماء الواردة في كولوسي ٤: ٧-١٨

ودلالاتها الروحية

(٨) دِيمَاسُ ... ومَحَبَّة الْعَالَم الْحَاضِر

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ، وَدِيمَاسُ» (كو٤: ١٤)

"دِيمَاسُ" اسم يوناني معناه "شعبي" أو "مشهور" أو "محبوب لدى الجمهور" (Popular). وقد ذُكر ثلاث مرات في العهد الجديد (فل٢٤؛ كو٤: ١٤؛ ٢تي٤: ١٠). ففي رسالة بولس الرسول إلى فليمون نقرأ: «يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبَفْرَاسُ ... وَمَرْقُسُ، وَأَرِسْتَرْخُسُ، وَدِيمَاسُ، وَلُوقَا الْعَامِلُونَ مَعِي» (فل٢٣، ٢٤). فيُذكر "دِيمَاس" قبل "لُوقَا"، كما يُذكر أنه كان عاملاً مع الرسول.

وفي رسالة كولوسي يقول الرسول: «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ، وَدِيمَاسُ» (كو٤: ١٤). فيُذكر "لُوقَا" قبل "دِيمَاس"، ولا يذكر الرسول أية كلمة مدح عن "دِيمَاس"، الأمر الذي لم يكن مِن عادة الرسول أن يفعله. وفي هذا تقرير عن تراجع حالة "دِيمَاس" وانحداره.

وفي الرسالة الثانية إلى تيموثاوس يقول الرسول لتيموثاوس: «بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعًا، لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي ... لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي» (٢تي٤: ٩-١١).

فدِيمَاس بدأ عاملاً في خدمة الرب مع الرسول بولس، ولكنه التفت إلى الوراء، فترك الخدمة لأنه «أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ». ويا له مِنْ عنوان سيء للحياة المسيحية! وهكذا قد يسير البعض، ويقطعون شوطًا في طريق الخدمة والتكريس للرب، لكنهم سرعان ما تفتر همتهم، وتبطل إطلاقًا.

وما أكثر الخطر الذي يُحيط بأولئك الذين لا يعملون حسابًا للصعوبات من بداية الطريق. فكثيرون مِن الذين فشلوا في جهادهم الروحي كانوا مِن الذين يُسرعون الخطى في بداية الميدان، وقد تعثرت خطواتهم شيئًا فشيئًا. فياليتنا نتسلَّح بنية الجهاد طول الطريق، معتمدين على قوة السَيِّد الرب، الذي يستطيع أن يحفظنا إلى النهاية.

ولا يذكر الرسول خطية خاصة اتجه إليها "دِيمَاسُ". مِن المحتمل أنه بدأ يعمل في التجارة أو في أي عمل آخر، تاركًا الخدمة ومشقاتها، وتحديات الشيطان ومقاومته، «وَذَهَبَ إِلَى

تَسَالُونِيكِي» التي كانت – في تلك الأيام الغابرة – مركز تجارة لامع. ولربما كان يرغب في تحقيق معنى اسمه "مشهور" أو "شعبي" أو "محبوب لدى الجمهور". ولم تكن الخدمة مع الرسول السجين الذي قارب يوم إعدامه، بطريقة مناسبة للبحث عن الشعبية والشهرة. على أية حال، لقد كشف الروح القدس الدوافع الداخلية التي كانت في قلبه، ودفعته إلى ترك الرسول بولس، والذهاب إلى تَسَالُونِيكِي، وهي "مَحَبَّة الْعَالَمِ". ويا لقوة جاذبية العالم! ولكن الجاذبية الأعظم لشخص المسيح هي الترياق لمثل هذا السقوط الذي يمكن أن يحدث. فقد نكون في أفضل شركة مسيحية مثل ديماس، ولكن ما لم تكن دوافعنا محكومة بتكريسنا وتقوانا للمسيح، فمن المحتم أننا سنسقط بطريقة أو بأخرى.

ولقد كان "دِيمَاسُ" من بين القليليين الذين كان لهم امتياز الاتصال الشخصي برسول الأمم العظيم. وبفضيلة الأمانة كان يمكن أن يكون له سمعة تيموثاوس أو لوقا. لكنه باع مديح الرب بمشغوليات عالمية زهيدة، واستبدل صحبة أسير الرب ببريق المادة ووهجها.

ولنا درس في فشل "دِيمَاس". فإنه يُرينا أن الشركة – ولو كانت مع أعظم القديسين – لا تكفي لأن تحفظنا من الضلال والتيهان والتواطؤ مع العالم. فالجلوس عند قدمي أعاظم معلمي الكتاب، أو العضوية في إحدى الكنائس التي يقوم بالخدمة فيها أتقى الرعاة بين رجال الله؛ هذه كلها امتيازات، لكنها ليست أكثر من ذلك. إننا لا ندخل السماء عن طريق إيمان شخص آخر، ولا شهادتنا تلمع عن طريق قداسة الآخرين. إنما فقط المشغولية القلبية بالرب يسوع هي التي تحفظنا وتُخلّصنا مِن المآسي الديماسية. أيها الأحباء: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ» (يع٤: ٤). فيا ليتنا نحرص حتى لا نقع، ولو في شيء يسير مِن محبة العالم الحاضر «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (١يو٢: ١٥-١٧). ويا ليت سواعدنا تتشدد لنكون أمناء حتى النهاية!

(تم)

تأملات هادئة: نعمة الله بقلم: داربي

«هذِهِ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي فِيهَا تَقُومُونَ»

(١بط٥: ١٢)

ليس هناك أشق لقلوبنا أن نقوم في إحساس بالنعمة ولا نسمح لأي عمل من جانبنا أو أي فكر داخلنا لنصل لفكر الله من جهتنا. ومهما أمعنت التفكير فإنني قد أحصل على أقل الحق الذي أتوقعه من جهة عمق نعمة الله.

إن سر القداسة والسلام وهدوء الروح هو الجلوس في محضر الرب مع إحساس عميق بنعمته. إن نعمته غير محدودة وغامرة وكاملة حتى إننا لا نستطيع أن نسبر أغوارها بعيداً عن محضره الإلهي. وإن حاولنا أن ندركها بعيداً عن محضره فإننا نحوّلها إلى مجرد أمر مستحب للنفس ليس إلا. والنعمة تُعني خلال الرب أن كل خطية نابعة منا قد دينت تماماً.

وفي الاصحاح السابع من رسالة رومية نجد وصفاً للمؤمن المولود ثانية في مجادلاته يعجز عن إدراك النعمة بدلاً من توجيه نظره بالإيمان إلى الله كمن أعلن ذاته بالنعمة لنفوسنا وليس الأمر لديه إلا أنا فقط. والنعمة في حقيقتها تشير إلى الله كمن في ذاته وليس لما نحن عليه. إذا كان لدي أدنى شك فيما أنا فيه يكون لسان حالي ‘‘لست سعيداً لأنني لست كما يجب أن أكون’’ ولكن ليست هذه هي القضية هي في حقيقتها: هو الرب هو كل ما نحتاج. وإذا كان إدراكنا بما نحن فيه يسبب لنا مشكلة ما فنحن بعيداً عن أساس النعمة الخالصة.

وجدير بنا أن نفكر في الله كما هو عليه بدلاً من أن نفكر في ذواتنا. إن النظر إلى نفوسنا مدعاة للافتخار نتيجة لحاجتنا لإحساس صحيح بما في نفوسنا أننا لا نصلح لشيء. ليس من التواضع أن نفتكر ردياً في نفوسنا أو حتى لا نفكر في ذواتنا إطلاقاً بل بالحرى أنسى نفسي كلية وأنظر إلى الرب الذي فكرّ في شخصي قبل أن أفكر فيه.

من روائع الكلمة

«ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ»

(تك٤٩: ٢٤)

في حديث يعقوب النبوي والأخير بخصوص أولاده (تك ٤٩)، وبصدد الحديث عن الابن المحبوب يوسف، وردت هذه العبارة الجميلة التي سلطت الضوء على واحدة من أجمل الصفات في هذه الشخصية الممتازة؛ يوسف «ثبتت بمتانة قوسه».

ففي معرض الحديث عما لاقاه من إخوته، ثم فوطيفار وزوجته .. حيث مررته واضطهدته ورمته أرباب السهام؛ أي أولئك الذين قاوموه بسهامهم المسمومة والخطيرة باعتبارهم محنكين «أرباب» في رمي السهام، كنا نتوقع أن يقول «ثبتت بمتانة ترسه» حيث أن الترس هو الوسيلة الدفاعية عن النفس ضد السهام المصوَّبة إليها، لكنه عوضًا عن ذلك يقول «ثبتت بمتانة قوسه». والقوس عكس الترس، حال كونه أداة هجومية تُستَخدَم في رمي السهام على الأعداء، وليست دفاعية كالترس تصد السهام المصوَّبة إليها.

والمعنى واضح وجميل: أن يوسف، رغمًا عن كثرة وقسوة السهام التي صُوِّبت إليه، لم ينشغل قط بالدفاع عن نفسه حيالها، الأمر الذي يستنفد طاقات وأوقات الكثيرين من أولاد الله، لكنه عوضًا عن ذلك انشغل بعمل مشيئة الله وقصده في حياته وترك للرب السهام المصوَّبة ضده وأربابها معًا!! واثبتت الأيام صحة هذا المبدأ؛ ليس فقط في حياة يوسف إذ رأى مذلة إخوته فجاء جوابه «لا تتأسفوا ولا تغتاظوا .. أنتم قصدتم لي شرًا أما الرب فقصد به (أي بهذا الشر عينه) خيرًا» (تك٥٠: ٢٠). فلم ينشغل مطلقًا بالدفاع عن نفسه، فربح شرف المشغولية بإرادة الله لحياته هو وترك الرب يدافع عنه وهو صامت .. وقد فعل الرب في وقته.

نعم نقول ليس فقط في حياة يوسف، أو حياة مريم من بيت عنيا بعده